الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

# الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر (1830-1900م)

# French colonial medicine against diseases and epidemics in Algeria (1830-1900)

رضوان شافو (*)

جامعة الوادي ، الجزائر

Redhouane Chafou

redhouane-chafou@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2022/06/30 تاريخ القبول: 2022/08/20 تاريخ النشر: 2022/09/30

**الملخص:**

عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م،إنتشرت العديد من الأمراض والأوبئة في أوساط المجتمع الجزائري، وذلك بسبب الكوارث الطبيعية من جهة، وبسبب الانعكاسات السلبية للسياسة الاستعمارية الاجتماعية والاقتصادية على الأهالي من جهة أخرى، فكان من الحتمي على السلطة الفرنسية اتخاذ العديد من الإجراءات الوقائية والطبية ضد الأمراض والأوبئة المعدية مثل(الكوليرا،الطاعون،الجدري،التيفوس،الملاريا،..)،وذلك بهدف تطوير المنظومة الصحية بالجزائر المُستعمَرة، ولتفادي انتشار هذه الأمراض والأوبئة في أوساط المستوطنين الفرنسين والأوربيين، ولضمان استقرار الاستيطان الاستعماري في الجزائر، وعلى الرغم من الازدواجية في المعالجة الوقائية والطبية بين الفرنسين والجزائريين، إلاَّ أن الطِّب

(*) المؤلف المرسل: رضوان شافو: redhouane-chafou@univ-eloued.dz

الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الاستعماري الفرنسي في الجزائر ساهم بشكل كبير في القضاء على الكثير من الأوبئة والأمراض التي انتشرت خلال القرن 19م..

**الكلمات الدالة:**

الطب الاستعماري، الاحتلال الفرنسي، الأمراض والأوبئة، الصحة، المستشفيات.

**Abstract:**

On the eve of the French occupation of Algeria in the 1830, many diseases and epidemics spread among Algerian society, because of natural disasters, and the negative repercussions of the socio-economic colonial policy on the people, it is indispensable for French authority taking many preventive and medical measures against infectious diseases and epidemics ,such as (cholera, plague, smallpox, typhus, malaria,…etc) ,to develop the health system in the colonized Algeria, to avoid the spread of these diseases and epidemics among the French and European settlers, as well as to guarantee stability of the colonial settlement in Algeria, Although the duplication of preventive and medical treatment between French and Algerian people, however French colonial medicine in Algeria contributed significantly to the elimination of many epidemics and diseases that spread in the 19th century.

.

**Key Words:**

Colonial medicine, French Occupation, Diseases and Epidemics, Health, Hospital.

********

**المقدمة:**

لقد أشارت العديد من التقارير الفرنسية لمختلف المشاريع الإستكشافية لإحتلال الجزائر سنة 1830م بظهور وانشار الكثير من الأمراض والأوبئة التي إفتكت بالكثير من الأهالي الجزائريين،في ظل نقص الأطباء والتطبيب،وضعف المنظومة الصحية في معالجة مثل هذه الآفات المرضية آنذاك،وبالتالي كان على الفرنسين أخد هذه الأوبئة محمل الجِّد عند إحتلالهم للجزائر،وذلك بتوفير الحماية الصحية للفرنسين والأوروبيين المستوطنين بالجزائر على وجه الخصوص والأهالي الجزائريين على وجه العموم، بعيدا عن الطب التقليدي الذي كان يمارسه الجزائريون آنذاك لمكافحة مختلف الأوبئة التي عرفتها الجزائر عشية إحتلالها من طرف فرنسا الاستعمارية،بل وصل الأمر إلى أن فرنسا الإستعمارية استطاعت ان تكتشف بالجزائر

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

المستعمرة العديد من الأدوية،وطرق العلاج لمختلف الأوبئة التي انتشرت في مستعمراتها بإفريقيا،وعلى الخصوص حمى المستنقعات،وهو ما أكدته بعض كتابات الأطباء الفرنسيين،ومنهم الدكتور بون جان ميشال *Bonjean michel* من خلال كتابه( *l'épidémiologie du paludisme au maroc*).

**اشكالية الدراسة** : من منطلق ما سبقت الإشارة إليه سنحاول في هذه الورقة العلمية معالجة الإشكالية الجوهرية وتساؤلاتها الفرعية الآتية: ماهي أهم الأوبئة التي انتشرت في الجزائر المستعمرة خلال القرن التاسع عشر الميلادي؟وما هي أبرز طرق المعالجة الطبية الفرنسية للأوبئة والأمراض المنتشرة آنذاك؟ وما مدى إنعكاس تفشي هذه الأوبئة والأمراض على الحياة المعيشية للأهالي الجزائريين؟

**أهداف الدراسة**: تسعى هذه الدراسة الى تحقيق الأهداف الاتية:

- ✓ معرفة الوضع الصحي واهم الأوبئة المنتشرة في الجزائر خلال القرن 19م
- ✓ تتبع مسار التدخلات الطبية والوقائية الفرنسية وطرق العلاج للقضاء على الأوبئة المنتشرة.
- ✓ تتبع ردود فعل الأهالي المصابين بالأوبئة، وكيفية التعامل مع التطبيب الاستعماري
- ✓ معرفة نتائج التدخلات الطبية الوقائية وحملات التلقيح ضد انشار الأوبئة والأمراض.
- ✓ معرفة التجارب الطبية لاكتشاف اللقاحات المضادة للأوبئة المنتشرة
- ✓ معرفة الثقافة الطبية الشعبية عند الأهالي لمواجهة الأوبئة والأمراض.

**منهج البحث واجراءاته:**

- ✓ **المنهج التاريخي**: من الطبيعي جدا أن يكون هذا المنهج موجودا في ثنايا هذه الدراسة، فمن خلاله تم رصد كرنولوجيا اهم الأوبئة التي انتشرت في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.
- ✓ **المنهج الوصفي**: وقد استخدمناه في رصد اشكال التدخلات الوقائية والطبية للسلطة الاستعمارية لمواجهة مختلف الأوبئة.
- ✓ **المنهج الإحصائي**: لطالما كانت هناك وفيات وولادات واصابات للمرضى،فستكون الأرقام والاحصائيات عاملا أساسيا في تحليل مؤشرات الارتفاع والانخفاض في المعدلات والنسب المتفاوتة.

الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

**الدراسات السابقة**: لا أدعي السّبق في دراسة هذا الموضوع،فهناك عدة دراسات اكاديمية عربية واجنبية قيّمة كانت السبَّاقة في دراسة مختلف الأمراض والأوبئة التي انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني،والحقبة الاستعمارية بالجزائر،حيث تناولت هذه الأوبئة والأمراض بجدِّية من الوصف والنقد والتحليل والتمحيص والتوثيق،وهو ما ساعدني على تتبع مسيرة اشكال التدخلات الوقائية والطبية للسلطة الاستعمارية لتطوير القطاع الصحي بالجزائر،ومواجهة الأوبئة والأمراض المنتشرة آنذاك،وجعلتني أقف على حجم تحسينات الرعاية الطبية العمومية الفرسية التي لم تكن في العهد العثماني،ومن أهم هذه الدراسات نجد:دراسة مصطفى خياطي:" الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية"،ودراسة مجاهد يمينة: "تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962م"،ودراسة فلة موساوي قشاعي: "الواقع الصحي والسكاني في الجزائر اثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي1518-1871م"،وبخصوص اهم الدراسات الأجنبية نجد دراسة Turin Yvonneمن خلال كتابها الموسوم بـ: Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale. Ecoles, Médecines et Religion, 1830-1880.

**أولا/ أهم الأوبئة التي انتشرت في الجزائر المستعمرة خلال القرن 19م:**

إن المتتبع لتاريخ انتشار مختلف الأوبئة في الجزائر خلال القرن 19م،سيقف على أهم العوامل التي كانت مؤدية الى انتشارها بشكل سريع،مخلفةً من ورائها العديد من الإصابات والوفيات،ولعل أول واهم هذه العوامل حركة السفر والهجرة من القارة الآسيوية والقارة الأوروبية الى الجزائر،وهو ما تؤكده الباحثة حفيظة خشمون في قولها: " بحكم صلة الجزائر بعالم البحر المتوسط وانفتاحها على أقاليم بلاد السودان وارتباطها بالمشرق العربي وعلاقتها بالبلاد الأوروبية،عن طريق توافد التجار والبحارة والحجاج وطلبة العلم على الموانئ الجزائرية،جعلها بيئة موبوءة بينما الشائع هو أنها بيئة صحية"[1]،وهي ذات الاشارة ايضا عند احمد الشريف الزهار في قوله:" عندما بلغت المراكب المهداة من استنطبول جاء معها الوباء الى الجزائر،واشتعلت ناره سنة 1817م،وكان الوباء يتسرب الى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر،لذا نجد أول من كان يصاب به هم عمال الموانئ،وبعد ذلك ينتشر في بقية انحاء البلاد"[2]، هذا بالإضافة الى عوامل أخرى لا تقل أهمية عما سبق ذكره ومنها الكوارث الطبيعية سواء بسبب تهاطل سقوط الأمطار،أو بسبب تلوث مياه الآبار الارتوازية أو بسبب المجاعات التي أصابت الجزائر، او بسبب تدهور الاحوال الصحية والاجتماعية للجزائريين،زيادة على ذلك

الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

بسبب إنتقال العدوى عن طريق الجنود الفرنسين والجزائريين الذين شاركوا في حرب القرم[3]،كما تجدر الإشارة الى أن رفض التلقيح والعلاج من طرف الجزائريين ساهم كثيرا في إنتشار الأوبئة عبر مختلف المدن الجزائرية، وهذا بسبب عدم الثقة في الأطباء الفرنسيين آنذاك،رغم قناعة الجزائريين بامتلاك الفرنسين لأسرار العلوم الطبية،زيادة على خوفهم من التجنيد الإجباري في صفوف القوات الفرنسية،حيث يذكر الباحث مصطفى خياطي: أن الاهالي الجزائريون كانوا يعتقدون بأن العلامة التي يتركها التلقيح على الأطفال تسهل التعرف عليها في وقت لاحق ليجندوا في الجيش الفرنسي،وفضلوا رمي أبنائهم في البحر على جعلهم يحملون علامات تسمح بالتعرف عليهم ذات يوم،مستندا في رأيه على شهادة الدكتور عويون الذي صرح قائلا:" لطالما واجه التلقيح في عهد الإحتلال الفرنسي صعوبة كبيرة في هذا البلد"[4]،وهي ذات الاشارة عند الباحثة *Turin Yvonne* في قولها:" العرب لايفضلون اللجوء إلى الطبيب المسيحي إعتقادا منهم أن المرض هو إبتلاء من عند الله وسيرفعه عنهم متى شاء"[5]،وتجدر الإشارة الى ان الامر لم يكن مقصورا على سكان الشمال فقط،فالرفض كان عاما عبر مختلف مناطق الوطن،إذ يذكر الباحث علي غنابزية أن سكان وادي سوف يومذاك كانوا يعتمدون كثيرا على معارفهم الطبية ورجال الطب الشعبي،ولا يقصدون المستشفيات الفرنسية إلا عندما تكون الحالة خطيرة او اضطرارية أو ميؤوسا منها في صفوفهم[6]،ومن أهم الأوبئة التي انتشرت في الجزائر خلال القرن19م نجد مايلي:

**1- الطاعون**: حسب بعد الأبحاث والدراسات العلمية التي خرج بها معهد باستور بالجزائر، أن الطاعون مرض يصيب في الأصل الحيوانات القارضة كالجردان،وتنتقل عدواه الى الإنسان بواسطة البراغيث التي تعيش متطفلة عليها[7]، وتقول الدكتورة عائشة غطاس في هذا الصدد بأن: "وباء الطاعون كان من أشرس الأوبئة فتكا بالجزائريين وخصوصا في أواخر العهد العثماني، إذ كان يظهر بصفة دورية مرة كل خمسة عشرة سنة أو خمسة وعشرين سنة[8]،اذ سجلت الجزائر مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي انتشارا بطيئا لهذا الوباء، غير انه في الفترة الممتدة ما بين 1816و1822م إزداد الوباء انتشارا في عدة مدن جزائرية بسبب حركة التنقل بين الجزائر وخارجها،وبسب حركة التنقل الداخلية، إذ سجلت هذه الفترة عددا كبير من ضحايا هذا الوباء وصل الى 20007 ضحية"[9]،فمثلا مدينة عنابة سجلت لوحدها سنة 1816 حوالي 6126 ضحية[10]،ونتيجة لإجراءات التدخل الطبي الوقائي لسلطة الداي،وانتشار الوعي الصحي لدى السكان تراجع عدد الاصابات والوفيات بين الأهالي منذ سنة 1923،وعرفت

الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الجزائر غيابا لهذا الوباء إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر،إذ عاد إنتشار هذا الوباء،وعرف نشاطا قويا مرة أخرى بسبب تدهور الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، اذ سجلت مدينة بقسنطينة سنة 1835م أكثر من 1500ضحية في ظرف ثلاثة أيام،كما عرفت مدينة الجزائر وضواحيها خلال بداية الخمسينات ونهاية القرن التاسع عشر الميلادي انتشارا لهذا الوباء،ولشدة هول عدد الضحايا في المدن الجزائرية،فقد تواتر عند سكان وادي سوف:"أن الذين يذهبون لحفر القبور لايعودون إلى منازلهم من طلوع الشمس إلى غروبها،فكلما إنتهوا من حفر قبر تأتيهم جنازة اخرى".[11]

**2- التيفوس**: يطلق عليه الأطباء الفرنسيون بمرض "بؤس الإنسانية" باعتباره يلازمهما ويصحبهما كما يلازم ويتبع الظل الجسد[12]،كما أنه مرض معدي ينتشر بسرعة وكل ما تسمح له الظروف بذلك وخاصة في فصل الشتاء، ويبدو أن أول حالة إعلان عن هذا الوباء في الجزائر كان سنة 1861م،اذ سجلت منطقة القبائل في هذه السنة حوالي 162 ضحية من مجموع 330 إصابة، كما شهدت مدينتي قسنطينة والجزائر خلال منتصف الستينات ونهاية القران التاسع عشر الميلادي انتشارا كبيرا لهذا الوباء، مخلفا الكثير من الضحايا، فما بين 1867و1868م سجلت الإحصائيات ما يقارب 500000 إصابة، وتجدر الاشارة بالتحديد ان عمالة الوسط لوحدها سجلت سنة 1868 حوالي 217 الف ضحية بمعدل 30.7%.[13]

**3- الكوليرا:** يبدوا أن انتشار هذا الوباء مع البدايات الأولى الاحتلال الفرنسي للجزائر كان نتيجة حركة السفر والهجرة من آسيا واوروبا والمشرق العربي الى الجزائر[14]،ففي سنة 1832م سجلت مدينة الجزائر 232 اصابة بالكوليرا، كما شهدت مدينة وهران سنة 1933م انتشارا لهذا الوباء، والذي انتقل إليها عن طريق المهاجرين من المدن الإسبانية، حيث اودى الى مقتل 1457 ضحية، كما تكررت نفس الوضعية في مدينة الجزائر سنة 1934م حيث عاد انتشار هذا الوباء بسب قدوم باخرتين من مدينة مرسيليا وطولون، وقد خلف حوالي 828 ضحية[15]، ليرتفع قليلا الى 930 ضحية حسب تقرير الطبيب سكوتيتن *Scoutetten*[16]،ليتراجع عدد الضحايا سنة 1849م الى 782 ضحية من بين 1042 إصابة[17].ثم تقلص وتراجع العدد سنة 1860م الى 242 اصابة وو125 ضحية.

كما شهدت مدينة قسنطينة هي الأخرى سنة 1937م اكثر الضحايا نتيجة انتشار هذا الوباء اذ فقت حوالي 14000 ضحية، بينما في سنة 1846م تراجع عدد ضحايا هذا الوباء الى 4866 ضحية. غير أن فترة أواخر الستينات من القرن التاسع عشر الميلادي كانت اكثر خطورة من

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

حيث عدد الإصابات والوفيات،إذ خلف انتشار هذا الوباء عبر مختلف مناطق الوطن ما يقارب 34468 ضحية.

**4- الجدري**: تشير بعض المصادر الأجنبية إلى أن وباء الجدري ظهر في الجزائر أواخر القرن الثامن عشر الميلادي،وانتشر بسرعة مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي وقد خلف عددا كبيرا من الضحايا آنذاك[18]،وخلال السنوات الأولى من الإحتلال الفرنسي للجزائر شهدت مدينتي الجزائر والبليدة وضواحيهما انتشار هذا الوباء مخلفا الكثير من الضحايا،وشهدت مدينة قسنطينة هي الأخرى سنة 1940م إصابة 2000 شخص،وفي نهاية الأربعينات شهدت بعض المدن الجزائري إنشارا كبيرا لهذا الوباء في صفوف الأطفال حيث تجاوز ما يفوق 952 إصابة.وبعد التدخلات الطبية والوقائية للسلطة الاستعمارية غاب هذا الوباء عن المدن الجزائرية،إلا أنه عاد بقوة في أواخر الستينات،وهي الفترة الأكثر فتكا بالجزائريين من خلال انتشار مختلف الأوبئة،اذ فتك هذا الوباء سنة 1893م بقرية تاغزوت بالوادي بحياة 22 ضحية[19]،ومع الخوف من إستفحال وباء الجدري امرت السلطات الفرنسية بتعليم طريقة علاجه عن طريق التلقيح،بينما كانت من قبل تدعي ان الاهالي غير قادرين على استيعاب علوم الطب والاستفادة منها.[20]

**ثانيا/ طرق المعالجة الطبية ضد الأوبئة المنتشرة:**

لمواجهة ومكافحة مختلف الأوبئة التي عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر الميلادي من الحقبة الاستعمارية،بدلت السلطة الفرنسية مجهودات كبيرة من اجل تطوير الصحة والحفاظ على البيئة،وقامت بعدة إجراءات وتدخلات وقائية يمكن حصرها فيما يلي:

**1- الحجر الصحي**: بعدما انتشر وباء الكوليرا في السنوات الأولى للإحتلال الفرنسي للجزائر، فرضت السلطة الاستعمارية الحجر الصحي لمدة 14 يوما على السفن الآتية من الموانئ الإيطالية ومنعها منعا باتا من الرسو،ونفس الشيئ للسفن الآتية من روسيا والبلدان الآسيوية والأوروبية والمشرق العربي،فهي ممنوعة من الرسو بميناء الجزائر وفقا لقرار الإجتماع المنعقد بتاريخ 30 نوفمبر 1831م،وتستثنى من ذلك السفن الحاملة لشهادة صحية لركابها وبضائعها،زيادة على تعقيمها،وتعقيم كل المواطنين القادمين عليها[21]،هذا بالإضافة الى تخصيص قاعات خاصة للتعقيم بالمستشفيات.

الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

2- إنشاء شرطة صحية بحرية: بعد عملية فرض الحجر الصحي قامت السلطة الإستعمارية بتجهيز الموانئ بشرطة بحرية لمراقبة السفن القادمة من القارة الآسيوية والأوروبية والمشرق العربي،وذلك بهذف تفادي دخول الأمراض والأوبئة الى الجزائر.

**3- التوعية الصحية:** في ظل رفض الاهالي الجزائريين التطبيب الفرنسي،والإكتفاء بالطب الشعبي،دفع بالسلطة الاستعمارية إلى البحث عن آليات جديدة تقربهم من الاهالي وتكسب ثقتهم وتسهيلا لإدماجهم مع المجتمع الفرنسي،حيث أصدر الفرنسيون في أول جانفي 1856م مجلة طبية باسم "الغازيت الطبية الجزائرية" برئاسة الطبيب بيريتراند،وقد إحتوت على 12 صفحة،حيث ساهمت هذه المجلة طيلة أربعون سنة في ترجمة العديد من الكتب الطبية العربية ،وعملت على تقديم النصائح والارشادات الطبية،هذا بالإضافة الى جريدة "المبشر الرسمية" التي عملت هي الاخرى على تقديم النصائح الطبية لتفادي مثل هذه الامراض والأوبئة الخطرة والتعريف بطرق العلاج والحث على الاتصال بالأطباء الأوروبيين وزيارة المستشفيات الفرنسية.[22]

**3- مضاعفة فتح المؤسسات الاستشفائية:** مع بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر ظهرت المستشفيات العسكرية بهدف تقديم الإسعاف الطبي لمختلف القوات الفرنسية، وفي ظل انتقال عدوى الأمراض والأوبئة بين الجنود الفرنسين والجزائريين،أصدرت السلطة الفرنسية مجموعة من المراسيم التنظيمية للقطاع الصحي بالجزائر،حيث صدر قرار في 3 جويلية 1849 يحدد وضع المستشفيات المدنية،ووضعت منشاءات عمومية تحظى باستقلالية مالية،وبحرية استشفائية لكل المرضى دون أي يميز عرقي او ديني،مع فتح في كل بلدية مكتب خيري من أجل الإسعاف في البيوت،ومع تطور القصاع الصحي بالجزائر،تم خلال فترة السبعينات تحويل غالبية المستشفيات العسكرية بالشمال الجزائري الى مستشفيات مدنية[23]،باستثناء مناطق الجنوب الجزائري حيث بقيت المستشفيات العسكرية تقدم الخدمات الصحية للأهالي ،فعلى سبيل المثال لا الحصر تم في أول ماي 1889م فتح المستشفى العسكري في بني تور بورقلة جنوب الجزائر،وفي عام 1900م تم فتح مستوصف مجاني لمعالجة السكان المحليين بساحة القصبة(ساحة فلاترس)،لتتحول فيما بعد الى مستشفيات مدنية بعد الغاء الحكم العسكري في الجنوب سنة 1947[24]،كما تجدر الإشارة الى انه تم انشاء مستوصفات متنقلة في العديد من المدن الجزائرية للمدينين والعسكرين،وقد حظيت المناطق النائية هي الأخرى بخدمات هذه المستوصفات المتنقلة.[25]

الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر
شافو رضوان ، المجلد الثالث عشـر، العدد 2، سبتمبر 2022،
ص ص 455-468
DOI: 10.54242/1702-013-002-029
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

**4- مضاعفة عمليات التلقيح المجانية في القرى والمداشر**: تخوفا من انتقال العدوى من الأهالي الى المستوطنين الفرنسين والأوروبين،عكفت الإدارة الاستعمارية على إنشاء مصلحة للتلقيح المجاني للسكان الأهالي والأوروبين،وتذكر الباحثة صليحة علامة بأنه صدر قرار سنة 1848م ينص على إستحداث منصب مدير التلقيحات العامة بمدينة الجزائر،وهذا على خلفية انتشار وباء الجدري في وسط أطفال المدارس[26].وامام رفض عمليات التلقيح من طرف الأهالي لجات السلطة الاستعمارية الى الدعاية عن طريق توظيف التاريخ الإسلامي،وذلك بالإعلان على أن التلقيح طريقة يستعملها أمراء المسلمين مثل باشا مصر وسلطان إسطنبول وكذلك العلماء.[27]

**جدول رقم (1) يوضح عمليات التلقيح عند الأهالي الجزائريين**[28]

| السنة | مقاطعة الجزائر | البليدة | سكيكدة | عنابة | قسنطينة | مستغانم | وهران | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1849 | 171 | 22 | 18 | 27 | 4 | - | 1617 | 1879 |
| 1850 | 150 | 26 | 9 | - | 10 | 280 | 25 | 500 |
| 1851 | 2220 | 24 | 20 | - | 139 | 3 | 243 | 2649 |
| 1852 | 4664 | 412 | 2 | 133 | 307 | - | - | 5518 |
| 1853 | 229 | 706 | 260 | 6 | 31 | 148 | 2248 | 3628 |
| 1854 | 1217 | 29 | 1324 | 3347 | 2120 | 626 | - | 8763 |
| 1855 | 5584 | 42 | | 20 | 7 | 1932 | - | |
| 1865 | 758 | 3707 | | 46 | 4 | 202 | 7 | 1387 |

**5- زيادة عدد الأطباء بالجزائر**: من خلال الأوبئة والأمراض التي أصابت عددا كبيرا من الجنود الفرسيين والمستوطنين الأوروبين،دفع بالسلطة الاستعمارية الى فتح مدارس تعليمية طبية خلال فترة الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي،بهدف تدعيم القطاع الصحي بالجزائر،وتكوين أطباء جزائريين يكونون سندا ودعما للأطباء الفرنسيين،وعونا لإخوانهم من المرضى الجزائريين الذين رفضوا التداوي والعلاج في المستشفيات والمصحات الفرنسية، ففي سنة 1857م تم فتح مدرسة للطب على يد الدكتور بيريتراند هدفها تكوين أطباء وممرضين مساعدوين جزائريين وقابلات جزائريات لمدة ثلاث سنوات،يكونون حلقة وصل بين الأهالي والأطباء الفرنسيين[29]،هذا بالإضافة الى مضاعفة عدد الأطباء بالجزائر،والجدول التالي يوضح ذلك.

**جدول رقم (2) يوضح عدد الأطباء بالجزائر (1851-1854)**[30]

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

| | 1851 | 1852 | 1854 | 1851 | 1852 | 1854 | 1851 | 1852 | 1854 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الأطباء فرنسيون | 26 | 27 | 27 | 11 | 13 | 13 | 8 | 7 | 12 |
| أطباء أجانب | 6 | 7 | 7 | 4 | 3 | 3 | - | - | - |
| ضباط الصحة الفرنسين | 9 | 8 | 9 | 2 | 3 | 3 | 4 | 5 | 6 |
| أجانب | 3 | 3 | 3 | - | 2 | 1 | - | 1 | 1 |

**6-القيام بتجارب وأبحاث علمية قصد توفير اللقاحات المضادة للأوبئة:** في ظل التزايد السريع لعدد الإصابات والوفيات في صفوف الفرنسيين والأهالي الجزائريين بمختلف الأوبئة التي انتشرت خلال القرن التاسع عشر الميلادي،ومع تزايد عدد الأطباء الفرنسين والجزائريين في ذات الوقت دفع بالسلطة الفرنسية الى القيام بالعديد من التجارب الطبية،إذ مع البدايات الاولى لإكتشاف وباء الجدري قامت السلطة الفرنسية سنة 1832م بما يسمى عملية الإلقاح(*Inoculation*) وهي عبارة عن زيارة تفقدية قام بها الأطباء الفرنسيون الى المناطق التي حل بها وباء الجدري،وقاموا بإخراج المرض المصابين بالوباء من منازلهم،ووضعهم تحت ظل الزيتون المحيطة بالقرية،ثم وضعهم في خيام على قمم الجبال المحيطة بمنطقة دلس،ثم تبخير منازلهم وغسل ثيابهم.[31]

ومع تزايد انتشار الأوبئة بمختلف مسمياتها قامت السلطة الفرنسية بفتح فروع لمؤسسات بحثية علمية ذات علاقة بالأوبئة والأمراض المعدية في مختلف المستعمرات الفرنسية،حيث تم إنشاء فرع لمعهد باستور بالجزائر سنة 1894م برئاسة الدكتور ترولارد *Trollard*، وقد استطاع معهد باستور في هذه الفترة ان يكتشف العديد من اللقاحات المضادة للأمراض والأوبئة، وان يضع برنامجا خاصا لمكافحة كل الأوبئة الميكروبولوجية(الكوليرا،الطاعون،التيفوس،الجدري،..) ،ومنه ما اشار اليه الأستاذ الباحث مصطفى خياطي في بحثه: "بأنه تم القيام بالعديد من المؤتمرات العلمية وإجراء العديد من الأبحاث الطبية منها مثلا،أنه في سنة 1894م اكتشف الدكتور فينسن Vincent بالجزائر الجرثومة المسببة لخلل الجسم بالأجزاء الرخوة بالرجل واليد،حيث تبين أنها فطر من نوع ستريبتوتريكس(Streptothrix)[32]،وكذلك في إطار محاربة حمى المستنقعات على مستوى مدينة ورقلة بالجنوب الشرقي الجزائري،قامت السلطة الفرنسية باستجلاب عدد كبير من أسماك صغيرة تعرف بالقامبوز،وهي تقضي على بيض الناموس المتسبب في انتشار حمى المستنقعات.[33]

DOI: 10.54242/1702-013-002-029
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

7-**مكافحة مكثفة للحشرات في جميع المباني**: عن طريق رشد المبيدات على الجدران والسقوف.وتجديد قنوات صرف المياه بجعل حواشيها عمودية

**ثالثا/مدى انعكاس تفشي هذه الأوبئة على الحياة المعيشية للأهالي الجزائريين:**

1- تناقص عدد السكان وتراجع حركة النمو الديمغرافي،وخاصة في الفترة الممتدة ما بين 1861 و1872م،حيث بلغ عدد السكان آنذاك 7.525.000 نسمة، وبالمقارنة مع احصائيات النمو الديمغرافي منذ بداية الاحتلال الفرنسي يتجلى لنا ذلك الانخفاض في تعداد السكان لكون ان عدد الوفيات أصبح يفوق عدد الولادات،وذلك بسبب الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية التي فتكت بالأهالي الجزائريين.

2- التعامل بازدواجية في التدخل الوقائي والطبي لمكافحة الأمراض والأوبئة عمق من مأساة الأهالي الجزائريين،إذ تكشف تقارير الأطباء بأن المناطق الحضرية التي كان يسكنها المستوطنون الفرنسيون والأوربيون كانت تحظى برعاية صحية متطورة،على عكس المناطق الريفية التي يسكنها الأهالي والتي كانت تعاني التهميش الصحي وتفتقر الى ابسط الوسائل الاستشفائية،وما كان يقدم لهم من خدمات استشفائية لا يرقى الى الإنسانية التي يتشدق بها الفرنسيون.[34]

3- الحالات النفسية التي اصبح يعيشها الأهالي الناجون من مختلف الأوبئة،فمعيشتهم اصبحت ما بين الحياة والموت،فمنهم من فقد بصره، ومنهم من اصبح معاقا.[35]

4- تعطل حركة التعليم بسبب غلق المؤسسات التعلمية،حيث ذكرت الباحثة مجاهد يمينة أنه خلال سنة 1877م انتشر في مدينة الجزائر وباء الجدري محدثا هلعا كبيرا وسط الجزائريين والأوروبيين،مما ادى بالمسؤولين الفرنسيين الى غلق المدرس لمدة ثلاث اشهر من 8 نوفمبر الى 19 جانفي 1878م.[36]

**خـاتمة:**

من خلال ما سبق ذكره من معلومات حول مختلف الأوبئة التي انتشرت في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية من القرن التاسع عشر الميلادي،ورصدنا لمختلف احصائيات ضحايا هذه الأوبئة، ومعرفتنا لمختلف طرق المعالجة الطبية للسلطة الاستعمارية لمواجهة ومكافحة الأوبئة، خرجت بمجموعة من الاستنتاجات يمكن حصرها فيما يلي:

- ✓ بالمقارنة مع الفترة التي سبقت الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م يتضح بأن الحياة الصحية لم تحض بإهتمام كبير من طرف الدايات العثمانيين في أواخر عهدهم، ولم يكونوا مبالين بالوضع الصحي للسكان ،على خلاف الفرنسين الذين اعطوا للقطاع الصحي اهتمام

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

كبير،وذلك خوفا من انتقال العدوى إليهم من جهة،وضمان الرعاية الصحية للمهاجرين الفرنسين والأوروبيين بهدف تحقيق الاستيطان من جهة اخرى.

- ✓ النسب الكبيرة من عدد الضحايا في صفوف الاهالي الجزائريين نتيجة الأوبئة التي فتكت بهم، أبانت على حجم العنصرية الاستعمارية الممارسة في حق الشعب الجزائري، حيث حضي الفرنسيون والاوربيون برعاية صحية متطورة، بالمقارنة مع الأهالي الجزائريين الذين افتقدوا الى ابسط وسائل الرعاية الصحية.
- ✓ مختلف الدراسات التي اعتمدنا عليها في تتبع ورصد مختلف الأوبئة التي انتشرت في الجزائر، حاولت إلصاق تهمة انتشار الاوبئة بالكوارث الطبيعية والفقر والمجاعات، ورفض الاهالي للتطبيب الاستعماري، غير أنهم أهملوا في الأصل ان منبع الأوبئة كان عبر الموانئ قادما من آسيا وأوربا والمشرق العربي، وفي هذا الصدد ورغم اجراءات الحجر الصحي، إلا أن السلطة الاستعمارية اخترقت الحجر الصحي عدة مرات بتواطئ مع الشرطة البحرية الصحية للموانئ، إذ سمحت لبعض السفن ان ترسوا في الموانئ الجزائرية دون مراقبتها وهي لا تحمل شهادة صحية لركابها وبضائعها.
- ✓ تخوف الفرنسيين والأوروبيين من استمرار انتشار الأوبئة بالجزائر دفع بالسلطة الاستعمارية الى التعجيل بإنشاء مدارس للطب والصيدلة، بهدف الرفع من عدد الأطباء بعد فترة التكوين العلمي من جهة، وايضا فتح فروع لمؤسسات عليمة للقيام بتجارب طبية لاكتشاف اللقاحات المضادة لفيروسات الأوبئة من جهة أخرى، وإن الهدف الأساسي من وراء هذا التعجيل هو طمأنة المستوطنين بالتحكم في الوضع الصحي،مع ضمان استقرارهم واستكمال عملية الاستيطان الممنهجة في الجزائر.

**الهوامش:**

[1] خشمون حفيظة، **مهام مفتدي الاسرى والتزاماتها الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة منتوري بقسنطينة،2007/2006،ص44

[2] احمد الشريف الزهار،**المذكرات**،الجزائر،دار البصائر،2009،ص78

[3] مجاهد يمينة،**تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962**،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة وهران1، 2017/2016،ص156

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[4] مصطفى خياطي،**الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية**:ترجمة:حضرية يوسفي،منشورات ANEP،2011،ص ص:82،87.

[5] Turin Yvonne, **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale. Ecoles, Médecines et Religion, 1830-1880**. Paris, François Maspero, 1971,p149.

[6]علي غنابزية،**مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالثعشر(هـ)التاسع عشر(م)**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2000،2001/2،ص131

[7]رضوان شعباني،**صورة المغرب في كتابات الاطباء الفرنسيين 1912-1956**،الرباط،جمعية البحث والتوثيق،2016،ص64

[8]عائشة غطاس،"الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني"،**مجلة الثقافة**،منشورات وزارة الثقافة،ع96، 1983،ص61

[9] مجاهد يمينة، المرجع السابق،ص24

[10] مصطفى خياطي،المرجع السابق،ص59

[11]علي غنابزية،المرجع السابق،ص128

[12]رضوان شعايبي،المرجع السابق،ص56

[13]مجاهد يمينة،المرجع السابق،ص156

[14] Bado J.P,**Médecine coloniale et grandes endémies en Afrique 1900**,paris,2002 .

[15] Kamel Kateb,**Européen « Indigènes »et Juif en Algérie (1830-1962),**Edition el-Maarifa,2010,p62

[16] Scoutetten (Dr),**Rapport Adressée à Monsieur Ministre de la Guerre** , in R.M.M.C.P.M, 1836,p48

[17] ابو القاسم سعدالله،**تاريخ الجزائر الثقافي**،بيروت،دار الغرب الاسلامي،ج7، 1998،ص227.

[18] J.L.G Guyon, **Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique**, Alger, 1855.p445

[19] علي غنابزية،المرجع السابق،ص128

[20] ابو القاسم سعدالله،المرجع السابق،ص228.

[21] مجاهد يمنة،المرجع السابق، ص47

[22] ابو القاسم سعدالله،المرجع السابق،ص228

[23] مجاهد يمينة،المرجع السابق،ص144

[24]رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري 1844-1962م:ورقلة انموذجا**،الجزائر،دار الشروق للنشر والتوزيع،2016،ص243.

[25] فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر اثناء العهد العثماني واوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م**،الجزائر،منشورات وزارة الثقافة،ص ص:263-264

[26] صليحة علامة،**الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830-1930م**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2001،2002/2،ص181.

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[27] ابو القاسم سعدالله،المرجع السابق،230

[28] مجا [28] فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر اثناء العهد العثماني واوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م**،الجزائر،منشورات وزارة الثقافة،ص ص:263-264

[28] صليحة علامة،**الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830-1930م**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2001،2002/2،ص181.

[28] ابو القاسم هد يمينة،المرجع السابق،ص76

[29] سعيدي مزيان، **النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر وأساليب المواجهة الجزائرية له، 1867 م - 1892 م** الجزائر،مطبعة النجاح،2009،ص128

[30] مجاهد يمينة،المرجع السابق،ص121

[31] Turin Yvonne,Op.Cit,p318

[32] مصطفى خياطي،المرجع السابق،ص ص:288،195

[33] دنيس بيلي،**معالم لتاريخ ورقلة 1872-1992**،ترجمة:علي ايدر،1995،ص65

[34] Turin Yvonne,Op.Cit,p78

[35] Ibid,p321

[36] مجاهد يمينة،المرجع السابق،ص150